ولكننا نخطىء إذا أعدنا تاريخ الأدب كله إلى الظروف الاقتصادية ، فهذا ينم عن تصور اجتماعي مبتذل وقعت فيه بعض المدارس . فلا بد من الاشارة إلى التفاعل بين البنيان الفوقي والقاعدة والى دور الفرد في تطور الايديولوجية . ان الناس يصنعون تاريخهم بانفسهم ولكنهم يصنعونه ضمن ظروف ومقدمات محددة جداً . وعلى الرغم من كون الظروف الاقتصادية هي الحاسمة في نهاية المطاف ، فان للظروف السياسية والتقاليد العالقة في أذهان الناس وغير ذلك دورها المعلوم .

من هنا يتجلى واضحاً خطأ من يحاول أن يضفي على أفكار القدماء تصورات تعود إلى مرحلة متأخرة مفهومة بالنسبة الينا ، ولكنها في الواقع لم تكن موجودة عندهم .

ولا بد لنا من الاشارة إلى جانب آخر مهم في هذه المسألة . اننا إذ نفهم الأدب وحدة ابداعية بين الشكل والمحتوى لانستطيع أن نكتفي بدراسة المحتوى الفكري في الابداع الفني بل يجب علينا أن نهتم بتحليل الاشكال الفنية والبنى والاساليب التي يستخدمها الأدباء .

ان أدب أي شعب من الشعوب هو بالنسبة الينا ابداع فني يجسد في صور فنية مشبعة بالعاطفة واقعة المعاصر . وما دام الأدب انعكاساً للحياة الواقعية بكل تنوعها ، سواء أكان هذا الأدب اسطورياً أم كاريكاتورياً ، فان فهمه يتعذر علينا مالم نربطه بالواقع الذي أوجده ومالم ندرك الصورة الكاملة لتفاعلات مختلف التيارات الاجتماعية في العصور التي ندرس أدبها .